د. محمد الرميحي

الرسائل الأولى

تحقيق: خليل العسلي

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

ACP
للدراسات والنشر

الرسائل
الأولى

ELRESAYEL
ELULA
MUHAMMED ALRUMAİHİ
1. Baskı: İstanbul
2021 - 1442

الرسائل الأولى

د. محمد الرميحي

جمع وترتيب: خليل العسلي

ACP
للدراسات والنشر

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
تحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

الرسائل الأولى

د. محمد الرميحي

القياس: 14.5 X 21.5 سم

عدد الصفحات : 240 ص

ISBN: 978-605-7618-56-6

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَة

ACP
للدراسات والنشر

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 35657

UFUK NEŞRİYATIN® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: baskı Yılmaz Basımevi (Mat. Sert. Nu: 49749), kapak baskısı Salkım Ofset'te gerçekleştirildi

مُقَدِّمَة

أنا والقاضي

رسائل لا تشيخ

أنا مدين لشخصين لظهور هذا الكتاب للقارئ الكريم، الأول هو الصديق محمد علي القاضي، والذي كان طالباً في كلية التجارة وقتها في جامعة الكويت (بداية سبعينيات القرن الماضي)، وقد تعرّفتُ عليه وأنا أعمل في الكلية قبل أن أذهب إلى الدارسة في بريطانيا، فأصبح هو وعدد من الأصدقاء ممن جاء ذكرهم في هذه الرسائل من أعز أصدقائي.

والثاني الصديق خليل العسلي الكاتب والناشر المتميز الفلسطيني في الأردن. فلولا تشجيع الثاني واحتفاظ الأول بكل تلك الرسائل التي كنت (أُمطره بها)، وأنا على مقاعد الدارسة في بريطانيا لضاعت مع الوقت. ولو كنا في العصر

الحاضر لاختفت الرسائل؛ لأنها لا بد أن تكون إلكترونية! القاضي احتفظ بالرسائل لعقود طويلة، وكان ذلك كرماً منه وحرصاً على تاريخ، حتى لو كان هذا التاريخ بين صديقين، إنما يؤرّخ لمرحلة كاملة. وفقط منذ سنوات قليلة ٢٠١٧م سلّمني تلك الرسائل بعد أن انشغلنا في الحياة، هو من جانب وأنا من جانب آخر. ولما قلت للأخ خليل العسلي عن الفكرة تحمّس لها، ثم قرأ الرسائل فتحمّس أكثر.

الرسائل مكتوبة بخط اليد، وأعترف أن خطي (رديء) مع الأسف؛ لذلك فإن السيدة التي قامت بطبع تلك الرسائل مشكورة لم تتعرف على عدد من الكلمات والعبارات، وبالتالي كان عليّ أن أتذكر وأُصحح. لقد عدتُ إلى تلك المرحلة (خمسون عاماً من اليوم ٢٠٢٠م) بالكثير من العاطفة، والكثير ربما من الحسرة، واشتعلت الذكريات في قلبي ووجداني، كم من المعارك (الكندوشية) قد خيضت وقتها، ومن المفاهيم قد ترسخت، ولكن المفاجئة -وأعتذر على التعبير- أني وجدت (نضجاً) مبكراً في التفكير صاحبني كما يبدو منذ ذاك الوقت في الشؤون العربية العامة، وربما أيضاً نمتُ لدي ملكة الكتابة، وعليّ أن أقول إني كنت أكتب رسائل لأصدقاء وأحباب أعزاء لمّا كنت طالباً في الشهادة الأولى في الجامعة في مصر، إلا أن تلك الرسائل مع الأسف لم يُحتفظ بها، ولكن تلك قصة أخرى. هذا الكتاب هو من إنتاج مرحلة الشباب، وهو مجموعة من الرسائل تبادلتها مع أخي وصديقي الأستاذ محمد علي القاضي، هو احتفظ برسائلي وأنا فقدت رسائله كان أحرص مني. كنت أعمل مشرفاً اجتماعياً في كلية العلوم السياسية والتجارة في بدء إنشاء جامعة الكويت عام ١٩٦٦/١٩٦٧م، وكان القاضي مع مجموعة من أوائل الطلبة الذين التحقوا

بالكلية في ذلك الوقت، كنا أصدقاء قريبين من بعض، لم يكن فارق السن كبيراً أيضاً فنمت بيننا صحبة جميلة، كنا نُنظّم رحلات إلى البر ونجتمع في أماكن مختلفة في ديوانيات عديدة؛ لنتسامر أو نتبادل وجهات النظر، كانت كوكبة من أوائل من درس في تلك الكلية المشتركة، ومقرها حين ذاك في منطقة العديلية في الكويت، قبل أن تنفصل بين كليتين وأيضاً تنتقل من مكانها. تلك الكوكبة أصبحت بعد ذلك في مواقع مسؤولة من العمل الحكومي، وبعضها مارس الأعمال الحرة، وآخرون وصلوا إلى الإدارة العليا ووزراء في الدولة. وقتها حصلتُ على بعثة للدارسة في بريطانيا، ولم أستطع الانتقال من البيئة التي أحببت رغم انتقالي من المكان. فكنا نتكاتب، لم يكن وقتها (الثلث الأول من السبعينيات) قد تقدمت وسائل الاتصال والتواصل كما هي اليوم، كان الرابط الوحيد والممكن هو الرسائل المكتوبة بخط اليد، والمُعبّرة عن وجهة النظر في الأحداث لشاب تأخذه الحياة إلى مكان جديد وبعيد، ومجتمع جديد لم يكن يتوقع أن يكون فيه، وآخر بقي يكمل دراسته في الكويت. وتوالت الرسائل وكان القاضي من الفطنة أن احتفظ بكل تلك الرسائل القادمة من وراء البحار واحدة إثر أخرى، لم أكن أعلم بذلك.

بعد العودة أخذتنا الحياة إلى أماكن مختلفة، هو الاقتصادي النيّر والاستثماري الحصيف إلى البنك المركزي أولاً، ثم إلى العمل الحر في معظم الوقت، وأنا إلى العمل الأكاديمي المُشبع والمُتعب معاً. هو ابتعد عن السياسة، وأنا عشت قريباً منها في تجمعات سياسية ولقاءات ومؤتمرات وكتابات. ربما قدرتي على الكتابة التي ملكت جزءاً منها بسبب كتابة تلك الرسائل كانت بسبب انشغالي بالكتابة بعد ذلك.

لقد كنت (مدمناً) على كتابة الرسائل لأصدقاء كثيرين، قبل التخرّج من القاهرة أيضاً كتبت رسائل كثيرة ومُشبعة إلى (بنت العم) وهي التي أصبحت زوجتي فيما بعد، ولكن تلك الرسائل التي احتفظت بها زوجتي لفترة طويلة جاء وقت (أزمة سياسية) في الكويت، وكنت طرفاً فيها (ليس وقت الحديث عنها الآن)، فقامت خوفاً من أن تقع تلك الرسائل في أيدي (غير موثوقة) بحرقها. كانت رسائل شاب لشابة فيها من العاطفة شيء، وفيها من التعليق على أحداث سياسية كثيرة أشياء أخرى.

فكرة الرسائل التي تتحول إلى كتب كانت موجودة ومستمرة في تاريخ الأدب العالمي، لعلي أذكر منها رسائل "السيد نهرو إلى ابنته أنديرا" والتي ظهرت في كتاب اسمه "لمحات من تاريخ العالم"، فكانت رسائل القاضي التي احتفظ بها. وبعد سنوات طوال فاتحني الصديق محمد القاضي بخبر مُفرح لي -على الأقل- إن كل أو معظم تلك الرسائل التي وجهتها إليه موجودة لديه. طلبت منه الحصول عليها، فجاءتني وكانت ملفوفة بشريط مخملي ومُعتنى بها وكأنها صادرة أمس. قمت بالإيعاز إلى رَقْمِهَا (كتابتها) على الحاسوب وتركتها أيضاً لفترة أكثر من عامين، حتى قيّض الله لي شخصية جميلة ومهنية كنت قبل أن أعرفه قد تعاونت معه في كتابة نبذة عن علاقتي بالسيد (إرشاد هورموزلو) الشخصية التركية المتميزة، ومستشار الرئيس التركي السابق عبد الله غول، والمستعرب الذكي، حيث أصدر كتاباً جميلاً بعنوان "المستشار التركي". الشخصية هي الصديق خليل المقدسي الذي نشر كتاباً جميلاً عن السيد (هورموزلو) كما أسلفت. تقابلت لأول مرة مع السيد المقدسي في إسطنبول في شهر نوفمبر ٢٠١٩م أثناء المؤتمر العاشر لقمّة البوسفور السنوية، وجدت فيه ذلك الشخص

الذي تستطيع أن تأنس إليه وتستأمنه على مشروع فكري قد لا يهم كثيرين الآن، ولكنه ربما يهم الأجيال القادمة في الكويت والخليج كجزء من تاريخهم.

فعهدتُ بالمشروع إليه، واتفقنا مبدئياً على أن نقوم بتغير الأسماء الواردة في بعض الرسائل بأسماء أخرى حفاظاً على الخصوصية؛ ولأن كثير منهم قد غادرنا إلى ربه، فلم يكن بالمستطاع الحصول من الجميع على إذن بالإشارة إلى أسمائهم كما تقتضي الأصول المهنية في النشر، ولكننا لم نفلح فبقيت الأسماء كلها كما هي؛ لأن القضايا المثارة ليست على نقل مباشر منهم. وهكذا جاء هذا الكتاب له من الخصوصية مكان، وله من العلنية مكان آخر رحب.

وكل ما هو مرتجى أن يُقرأ وفي ذهن متصفِّحه ذلك الوقت من الزمان (أوائل السبعينيات من القرن الماضي)، وأهواء شاب من نتاج تفاعل الأحداث وقتها انتقل من مجتمع بسيط إلى مجتمع معقّد وصناعي. أما لماذا النشر الآن؟ ذلك لأن المثل الذي يقول: (ما أشبه الليلة بالبارحة) مثل قد لا يُستوعب إلا عندما نقرأ نصاً كُتب قبل خمسين عام تقريباً كهذا النص الذي بين يدي القارئ، ونقارنه بما يحدث اليوم. وأترك للقارئ الفطن استخلاص العِبر...

محمد الرميحي

الكويت

يناير ٢٠٢٠م

الرسـائل الأولى

تمهيد لا بُدَّ منه

بعد شهر من انتهاء قمة البوسفور العاشرة، والتي عُقدت في إسطنبول تلك المدينة التي تنافس في حُبي مدينة القدس، حيث شاركت فيها إلى جانب الدكتور محمد الرميحي، والدبلوماسي التركي إرشاد هورموزلو، وعدد كبير من قادة العالم والمسؤولين الاقتصاديين والإعلاميين وغيرهم، وبعد أن أخذت تعهّداً من الدكتور الرميحي أنه ذات يوم سوف يتحدث حديثاً طويلاً عن ذكريات إعلامية وغيرها؛ لتكون بمثابة شهادة للأجيال القادمة، وبعد أن تصفّح كتابي الذي كان قد صدر للتو بعنوان "المستشار التركي والبرغماتية الأخلاقية". بعد ذلك وصلتني رسالة من الدكتور يطلب رأيّ في بعض الرسائل التي تبادلها وهو طالب في بريطانيا مع صديق له، لا زال يحتفظ بها، وطلب أن أتصفّحها وبعد ذلك نتحدث. هذه كانت بمثابة مفاجأة غير متوقعة من شخصية غير عادية.

بعد تصفّح الرسائل الأولى عرفت أنني أمام شهادة فريدة من نوعها، ومن حق الأجيال علينا أن نتحفّظ بها، وأن ننقلها كما هي مُفسّرة بشروح...

ولكن وللحقيقة ترددتُ كثيراً في كتابة هذا التمهيد لهذه الرسائل القيّمة، فليس سهلاً أن تكتب تمهيداً أو مقدمةً لمفكّر أو عن مفكّر عربي بحجم الدكتور محمد الرميحي، فهذه الشخصية ساهمت بشكل كبير في التحوّل الذي عاشه ويعيشه العالم العربي بشكل عام، والخليج بشكل خاص منذ سبعينيات القرن الماضي.

كان الدكتور الرميحي يُعبّر عن اتجاه يتبناه، وفكر سيكون له نبراساً في الحياة العملية حتى قبل أن تبدأ، وهذا جلي بصورة لا تقبل التأويل في الرسائل التي هي بين أيديكم، إذ قرّر الدكتور الرميحي أن يطلعنا جميعاً عليها، وصولاً إلى منتصف السبعينيات تقريباً من القرن الماضي عندما عاد إلى الكويت، وبدأ بممارسة بعض من الأفكار التي اكتسبها في بحثه الداخلي والخارجي، والذي استمر أعوام كثيرة.

هذا التردد تحوّل إلى رهبة كبيرة؛ لمعرفتي أن الشخصية التي منحتني هذه الفرصة التاريخية، التي يتمناها كل كاتب وباحث فما بالك بصحفي، هي شخصية ليست عادية، فقد حصلت على كل المناصب التي يحلم بها كل أكاديمي وكل مفكّر، كما أن هذه الشخصية الفريدة الهادئة حصلت على كل الجوائز التي يمكن أن يحلم بها، أو لا يتمكن أن يحلم بها أي أستاذ جامعي أو مثقف من الدرجة الأولى. هذه الشخصية حصلت على المناصب الإعلامية الأرقى، والتي لا يتوقع كل إعلامي أن يصل إلى نصفها.

كما أن هذه الشخصية كتبت وتكتب في أوسع الصحف العربية انتشاراً في جميع أنحاء العالم، والعالم العربي بشكل خاص، ولها مقالات في الكثير من الصحف أكثر مما لا يمكن لصحفي أو مثقف من الطراز الأول أن يفكر

أن يسطّرها ولو أُتيحت له كل السبل، فهذه الصحف تحتاج إلى قلم هذه الشخصية المبدعة أكثر مما هو يحتاج إلى تلك الصحف. وقد نشر من الكتب عدداً كبيراً استفادت منه شرائح واسعة من الباحثين العرب والأجانب.

ومن هنا وبناء على كل ذلك، فإن الكتابة عن الدكتور الرميحي تتطلب قدرات مختلفة غير عادية للحديث عن شخصية هي في الحقيقة هامَةٌ فكريةٌ وثقافيةٌ، ساهمت بغرس الكثير من البذور الطيبة في نفوس جيل الشباب، بل أصبح له طلاب كثر ساروا على دربه وبرز بعضهم في البحث والتقصي.

إنه من حسن طالعي أن خصّني الدكتور الرميحي بالاطلاع على رسائله ذات البعد الشخصي نصاً، وذات البعد الثقافي التوثيقي الاجتماعي محتوىً، فهذه الرسائل والتي يزيد عددها على التسعين بقليل، تُظهر حرصاً شديداً من قبل الدكتور الرميحي على توثيق كل لحظة عاشها؛ من البرد الإنجليزي، وثلج مدينة درهم الشمال شرقية في بريطانيا، وشراء سيارة صغيرة، حتى مشاعر الفرح بقرب اللقاء، والعودة للكويت وصولاً إلى أفكار مثل اتحاد الخليج أو الديمقراطية. كلها حرص على أن يخطها بقلمه الراقي، كما لم ينسى أن يطلع الأصدقاء على كل ملاحظة تتناول الإعلام البريطاني المنحاز، أو معرفة بأن بريطانيا ليست كما نعرفها، وكل رأي يتناول بصراحة متناهية "تخلّف العرب"، و "مستقبل الخليج"، و"أبعاد القضية الفلسطينية"، وصولاً إلى "خطف الطائرات". وكل حدث شهده من "إضراب عمال المناجم" و"إضراب الطلبة". كل ما وقعت عيونه عليه، ووصلت إليه مسامعه خطّه في الرسائل لصديقه المخلص العزيز الذي قدّم خدمة للأجيال القادمة، بأن احتفظ بتلك الرسائل على مدى ما لا يقل عن أربعين عاماً؛ ليقدِّمها لاحقاً هدية للصديق، تلك

الرسائل طال عمرها أكثر بعد تحويلها إلى ملف إلكتروني في جهاز الحاسوب.

هذه الرسائل هي كنز ثقافي اجتماعي، وأقرب إلى أن تكون شهادة مميّزة على عصر يُعتبر الأكثر تعقيداً، والأكثر توتراً في حياة العرب عامة والخليج العربي خاصةً، الذي كان قد بدأ يتلمّس طريقه بين الأوطان العربية، هذا التلمُّس كان واضحاً في تلك الرسائل، حيث أمواج القومية العربية تتلاطم بأمواج النفوذ الغربي المتجذّر، وتتلقفها أمواج من يحب أن يطلق عليهم الرميحي "الرجعية العربية" و"القيادات التقليدية" مختلطة "بالسلفية" وسط هذا المحيط المتحرك العاصف الذي كان يجتاح الخليج العربي في تلك الفترة. والذي ساهم بشدة تلاطم تلك الأمواج ما حل بفلسطين في النكبة وبعدها النكسة، مما أحدث انتكاسة عميقة وحقيقية للكثير من الشباب العربي وخاصة الخليجي، وكذلك أثّرت الأحداث في فلسطين على التيارات التي كانت قد بدأت بالتكوّن في الخليج العربي، وكانت تقودها القومية العربية بمفهومها الأحدث، وهو الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح، وبأن دولة عربية واحدة ستقوم لتجمع العرب ضمن حدودهم من المحيط إلى الخليج، أو على الأقل يكون هناك انسجام اقتصادي و سياسي يرنو إلى الخير العام العربي.

هذا الإيمان الذي كان سائداً بتلك الفترة، والنابع من إيمان العرب بأنهم أمة لها جذور ضاربة في عمق التاريخ تغيّر في السنوات الأخيرة، ليجد الشباب العربي نفسه مرة أخرى في سباق البحث عن ذاته في محيط لا تتلقفه الأفكار، بل تتلاطمه أمواج الدم والقتل، هذا الجيل كان عليه إمّا أن يهرب وراء المظاهر، أو أن يقف صامداً يفكّر بالنموذج الأنسب له.

لقد كانت القومية العربية فكرة جذّابة للشباب العرب المتعلّم وخاصة المغترب، ذلك الجيل من الشباب الذي خرج إلى أوروبا في فترة الرومانسية الحالمة، فترة قوة تأثير الحركة الطلابية على الحياة الجامعية وعلى جميع مرافق الحياة العامة، وفترة النقابات العمالية التي كانت المحرك الأساسي للحياة في أوروبا بما فيها بريطانيا، فكان يُضرِب عمال المناجم حتى تتجمد بريطانيا، وإذا ما أضرب عمال محطات توليد الكهرباء تأييداً لإضراب عمال المناجم فإن بريطانيا ستنام في ظلامٍ دامس، كما يظهر من معاناة الرميحي من ذلك في رسائله.

الشباب العربي الباحث عن الهوية الخاصة به كان يعتنق فكراً يعتقد أنه الأقرب لطموحاته ولهويته، وليكتشف لاحقاً أن هذا الفكر فيه خلل لا يناسب أفكاره، فيلتجئ إلى فكر آخر، فنجد من اعتنق الماركسية في فترة ثم تحوّل عنها للقومية، ليتحول بعدها إلى أفكار ليبرالية، أو حتى إسلامية تقليدية، وهكذا فقد كانت هذه الحركة ميزة للطلبة المبتعثين إلى أوروبا والتي كانت حلم كل عربي؛ لأنها مكّنت من تكوين الشخصية وصقل المبادئ التي حملوها معهم عائدين إلى أوطانهم.

لقد كان الدكتور الرميحي في رسائله صريحاً إلى أبعد الحدود، عندما تحدّث أكثر من مرة عن "تخلّف" المجتمع العربي والخليجي بشكل خاص، ذلك التخلّف فسّره المفكر هشام شرابي أحد أهم المفكرين والكُتاب العرب في كتابه "النظام الأبوي وإشكالية تخلّف المجتمع العربي" الصادر باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٨م وتمّت ترجمته للعربية من قبل محمود شريح عام ١٩٩١م. "... والتخلف هنا ليس تخلّفاً اقتصادياً أو إدارياً أو إنمائياً، بل إنه كامنٌ في أعماق المجتمع العربي ولا يغيب عن وجدانه لحظة واحدة، بل يقبله ويتعايش معه.

يتخذ هذا التخلّف صفتين متلازمتين هما: اللاعقلانية والعجز، الأولى تتجلّى في عدم القدرة على التدبير أو الممارسة، والثانية في عجزه عن التوصّل إلى الأهداف التي يرنو إليها. وإلى ذلك يعزو الانكسارات والهزائم وفشل حركة التنوير ومشاريع التنمية، ومن ثم فمصير المجتمع العربي متوقف على مقدرته في التغلّب على نظامه "الأبوي" واستبداله بمجتمع حديث".

ومن هنا تنبع أهمية قراءة هذه الرسائل باعتبارها تجربة إنسانية فكرية عميقة، وفلسفية ذاتية إلى حدٍ ما لمثقف عربي خاض تجربة صقلت شخصيته المتعطشة لمفاهيم جديدة في حياة الوطن العربي، بكل ما في الكلمة من معنى.

وهذا ما تحدّث عنه كتاب "التيارات الفكرية في الخليج العربي (١٩٣٨/ ١٩٧١م)" للدكتور مفيد الزيدي الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية بداية عام ٢٠٢٠م... فقد خلص إلى أن الوقائع التاريخية قد أثبتت أن مطلب النُخب الاجتماعية والسياسية في منطقة الخليج هو الديمقراطية، باعتبارها المخرج الوحيد لأزمة المجتمع، والقاسم المشترك لجميع التيارات بمختلف انتماءاتها ومنطلقاتها، وبحيث أنه يمكن من خلالها بناء مؤسسات المجتمع المدني، وتجسيد الحياة البرلمانية على أسس دستورية حقيقية.

لقد استمتعت كثيراً بقراءة هذه الرسائل ودراستها، فلقد أخذتني وبالتأكيد سوف تأخذ كل من يقرأها في رحلة مشوّقة عبر الزمن، وبعبارات بسيطة مباشرة قريبة للقلب، وتخترق العقل بدون مقدمات. هذه الرحلة عبر الزمن أعادت إلى الذاكرة أحداث سمعت عنها، وأحداث قرأت تفاصيلها علاوةً على أحداث أجريت مقابلات مع بعض من عاصرها وكان جزءاً منها. هذه الأحداث

تعتبر مفصلية في حياة العالم العربي، تلك الأحداث قد ساهمت بالتأكيد بالتحوّلات التي شهدها العالم العربي في السنوات اللاحقة.

هذه الرسائل تجبرك على العيش في ذلك الزمن بمعاييره وبمفاهيمه وأحداثه، التي قد تبدو غريبة غير مألوفة في أيامنا هذه، فلتحكموا عليها بأحكام هذا الزمان، وبمنظار الحاضر من أجل البناء عليها لمستقبل أفضل لأجيال الشباب. (رسائل لا تشيخ) تطلّبت وضع الكثير من الهوامش، والكثير من التفسيرات حتى تصبح سهلة الهضم، شيّقة التسلسل وغنية بالتفاصيل. هذه التفسيرات سوف تبقى للأجيال القادمة، والتي تتاح له فرصة قراءة مختلفة للتاريخ من خلال الرسائل الشخصية، وهذا أسلوب راقٍ في نقل التاريخ والتجربة قلّما نستخدمه في عالمنا العربي، الذي لا زال يحبو في هذا النوع من الكتابة الذاتية.

بعض الشروح المطلوبة والضرورية جاءت لتفسير بعض الأحداث التي وقعت في الشرق الأوسط، وكان الدكتور الرميحي شاهداً عليها حتى لو كان عن بعد، من خلال متابعة ما نشرته وسائل الإعلام البريطاني، فالدكتور الرميحي يمتلك قدرة استشعار إعلامية بالغة الحساسية، تمكّنه من قراءة ما بين السطور وتحليل ما يُنشر، خاصة وإن الإعلام البريطاني معروف في تلك الفترة وحتى يومنا هذا بانحيازه وبشكل واضح لصالح إسرائيل في موضوع الصراع العربي- الإسرائيلي، والذي تحوّل لاحقاً ليكون فلسطينياً-إسرائيلياً، ومع تحوّل الموقف العربي منه والذي أصبح صراعاً هلامياً.

هذه التفسيرات التي تمَّ وضعها على شكل هوامش لقراءة الرسائل، كان الهدف منها إغناء المعلومات حول المواضيع المذكورة، وعلى شكل إشارات فقط

باعتبار أن الجميع في ذلك الوقت قد عاشها، مثل ظاهرة خطف الطائرات، ودور العرب الداعم للفلسطينيين في قضيتهم من خلال المؤتمرات والندوات، والتظاهر أمام السفارة الإسرائيلية.

وما دام التاريخ هو الماضي الذي يثيرنا، والحاضر الذي فيه نستجيب لتلك الإثارة، يغدو التاريخ بسجلاته ووثائقه عبارة عن مدونات كتبها مؤرخون لوقائع نقلوها من وجهة نظرهم الخاصة، ومن ثم ظلّت هناك وجهات نظر أخرى يمكننا بها أن ننظر لتلك الوقائع نفسها، وهذا ما ينطبق على رسائل الدكتور الرميحي، فهي شهادة نادرة حول العصر وعلى التحولات التي شهدها الشباب العربي والخليجي بشكل خاص.

هذه الرسائل تعطي صورة مختلفة عن الصورة النمطية عن الشباب في الخليج، والتي ساهمت بتعميقها وسائل الإعلام الغربية، وبعض الأنظمة العربية التي كانت تُطلق على نفسها صفة "التقدمية". تلك الصورة التي ربطت الخليج بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب في القرن الماضي، وفي زمن هيمنة الفكر القومي الاشتراكي على جيل الشباب، ذلك الفكر الذي كان حلم الشعوب في التحرر والكرامة، ولكنه إنهار كأنه بيتٌ من ورق لتحل بعده ظاهرة "السلفية"، وما تبع ذلك من انهيار لكل هذه المنظورات في الوقت الحالي.

في ذلك الوقت تغيّرت معالم وملامح مجتمعات الخليج، وفقدت طابعها وخصوصياتها التي ظلّت تميّزها حتى منتصف سبعينيات القرن الماضي كمجتمعات عربية ذات نكهات خليجية، خاصة من حيث المزاج العام المتناغم والمتقارب اجتماعياً وثقافياً ونفسياً، باستثناء مجتمع الكويت المعاصر الذي بقي محافظاً على نزعته ونكهته العربية حتى نهاية القرن الماضي.

فالكويت في تلك الفترة كانت تستحق شعار "الكويت بلاد العرب"، ذلك الشعار الذي كان يستخدم كطابع على المغلّفات البريدية، وحيث كانت الكويت تعيش مرحلة الانتماء القومي والاعتزاز بالعروبة، وأصبحت الكويت محطة للكثير من شخصيات العالم العربي.

تلك الشخصيات رصدها الباحث إبراهيم الخالدي في كتاب صدر عام ٢٠١٦م يحمل عنوان "هؤلاء مروا بالكويت"، تلك الدولة كانت بها أقدم حركة فنية معاصرة في شبه الجزيرة العربية، حيث يعود تاريخ هذه الحركة إلى سنة ١٩٣٦م، وكانت دولة الكويت من أوائل الدول الخليجية التي قدمت منح دراسية في مجال الفنون.

وهنا يجب القول إنه لا يختلف اثنان في العالم العربي على الدور الثقافي الذي لعبته مجلة (العربي) والتي تولّى الدكتور محمد الرميحي رئاسة تحريرها لثمان عشرة سنة، ليكون بذلك ثالث رئيس تحرير لأهم مجلة في العالم العربي وأطول زمناً، تلك المجلة شكّلت رمزاً عربياً ثقافياً متميزاً، فقد نجحت في طرح صيغة جديدة لمعنى المجلة الثقافية.

أمّا الدكتور الرميحي والذي سألته عن دوره في المجلة، فقد أجاب إجابة مجازية فيها الكثير من المعاني:

"أقول: إنني في صفحة التسلية قد أدخلت الشطرنج! وركّزت على الكتابة عن الانتقال من "التلقائية إلى العلمية"، وأضاف: كنت أترك لثلاثة من هيئة التحرير الحكم على المقالات التي ترد وآخذ رأي الأقرب إلى السماح. ومن حيث العمل الفني وضعتُ مجموعة إنتاج إلكترونية بمعنى الإنتاج الكامل في المكان

(وعملت نفس الشيء عندما ذهبت إلى المجلس الوطني)، فمجموعة الإنتاج هي التي تجمع وتُخرج المجلة على أسطوانة مدمجة وقتها، وتذهب إلى المطبعة جاهزة للطباعة".

ما لم يقله الدكتور الرميحي هو أنه أضفى عليها طابعاً خاصاً به، وكانت فترة رئاسته لتحرير المجلة ضرورية؛ لنقل المجلة إلى مستوى مختلف عمّا كانت عليه.

ولا بد من التنويه أن الرميحي قد عمل لفترة طويلة عضواً أو مستشاراً لسلسلة كتب (عالم المعرفة)، والتي أصبحت من أهم الكتب الصادرة في الوطن العربي وأكثرها انتشاراً، وأغنت الثقافة العربية ولا تزال. وهو الذي بدأ بوضع أعدادها جميعاً على شبكة النت للاستفادة العامة.

أشكر الدكتور محمد الرميحي على منحي هذه الفرصة للاطلاع على رسائله، كما أشكر الصديق المخلص محمد القاضي الذي حافظ على هذه الرسائل، والتي بالتأكيد سوف تكون شهادة يستفيد منها المؤرخون والباحثون في هذه البقعة من العالم، والتي لم تكتب تاريخها بعد!

خليل العسلي

القدس

١

مانشستر في ٤/١٠/١٩٦٩م.

أخي العزيز الفاضل / محمد القاضي المحترم.

تحية عاطرة وبعد،

طبعاً أظنّك انتظرت مدة طويلة قبل أن أكتب لك. في الحقيقة تعرف أني وصلت إلى لندن في حوالي ٢٠/٩ ولم يكن شيء قد أُعِدّ للالتحاق بالدارسة، وبعد اتصالات كثيرة قمت بمقابلة عميد كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في جامعة مانشستر المعروفة، وطبعًا بعد عصر ولف قبلت بالجامعة، على أن أعمل الماجستير في سنتين، وقد اخترت أربع مواد لدراستها منها "السياسة البريطانية في الشرق الأوسط" وثلاث مواد معها. البلد هنا حلوة وهي ثاني مدينة في إنجلترا بعد لندن، واستأجرت بيت جميل وصغير، فيه مزرعة (حديقة)[١] صغيرة، وكراج للسيارة، طبعًا أنوي أشتري سيارة بس ليس الحين. في هذا البلد يهود كثيرون، وهم في الحقيقة مسالمون، لكن يحبون طبعاً ربعهم. لم أدخل

(١) كان هذا البيت هو عبارة عن نصف منزل؛ لأن الطابق العلوي كان أيضاً مُستأجر، والمؤجر تاجر صوف سوري مقيم منذ فترة في مانشستر، وزوجته الإنجليزية، وكانت تصغره في السن كما أظن (هي المسؤولة عن متابعة شؤون التأجير النصف أرضي) هو الذي أجرته والعلوي لأسرة أخرى، المنطقة كانت تسمى (ويلمزلو) قريبة من مطار مانشستر، إلى درجة أننا كنا نقضي بعض الوقت الترفيهي في مقاهي المطار المطلة على إقلاع وهبوط الطائرات.

في مناقشة مع أحد، العجيب يا أخي أن في الجامعة حوالي عشرين ألف طالب وطالبة طبعاً. واتحاد الطلاب هنا شيء غريب لم أقرأ أو أرى مثله في أي بلد، كل شيء في يد الطلاب. وقرأت في جريدة (المساء) أمس مقابلة مع رئيس اتحاد الطلاب، يقول فيها: إنه يريد الطلاب أن ينتخبون عميد الجامعة في السنة القادمة بدل تعيينه من الإدارة، وروح الأساتذة جداً ممتازة يتبسط معاك، لا أستاذ ويدعوك إلى منزله وشيء بالنسبة لنا عجيب، المطر تقريباً طول الوقت ولو أنه غير مؤذٍ، ما فيه طوز ولا حر، درجة الحرارة تتراوح من ١٠ إلى ١٥ درجة بس.

سلامي إلى الأخوان وجميع الطلاب.

وأرجو أن تكتب لي، وأن تعطي عنواني للجماعة، تحياتي لك وللعائلة وإلى جميع الأخوة.

أخوك الرميحي

د. محمد الرميحي

- أســتاذ الاجتماع الســياسي في جامعة الكويت.
- كاتب ومؤلف لعدد من الكتــب في المجتمع والثقافة وحاصل على عدد من الجوائز الثقافيــة العربية والعالمية.
- ترأس تحريــر مجلة العربي لمدة ١٨ عاماً وأمين عام ســابق للمجلس الوطني للثقافة والآداب في الكويت.
- أســس وترأس تحرير عدد من المجلات و الصحف اليومية ونشر مقالات في الصحف العربية و الدولية.

الرسـائل الأولى

- هذه الرسائل هي كنزٌ ثقافيٌ اجتماعي توثيقي لمجريات أحداث المنطقة العربية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وأقرب ما تكون إلى شهادة على عصر كان يعتبر الأكثر تعقيداً والأكثر توتراً في حياة العرب كافة وأهل الخليج على وجه الخصوص، حيث اجتاحت أمواج القومية البلدان العربية وظهرت بشائر الاستقلال وتلمّس العرب نفحات الحداثة ووعود النهوض من السبات العميق، والسير نحو مستقبل مشرق أكثر، في ذلك الوقت تلاطمت أمواج الأفكار العالية والقضايا الكبيرة مع تطلعات شباب الخليج إلى مستقبل من الحرية والتنمية والحداثة.
- في هذه الأجواء المفعمة بالأمل والمليئة بالإصرار على التغير كتب "الرميحي" هذه الرسائل لصديق يصف تلك المرحلة بدقة متناهية بتحدياتها وبآمالها، بعض تلك التحديات تذللت، وبعض تلك الآمال تحققت، إلا أن بعضها الآخر أصابه الخواء والتعطل.
- إن القارئ لهذه الرسائل لا يمكن أن يجدها محقّة إلا بشرط أن يأخذ بالحسبان تاريخ كتابتها وظروف ذلك الزمان، وقد يتعجب البعض كم أن ما كان في الأمس لا زال معنا حتى اليوم!..

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN - YAYIN - DAĞITIM

KORSANI DEĞİL BENİ OKU

ISBN 978-605-7618-56-6
9 786057 618566

www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com